دار الفاروق
للاستثمارات الثقافية

الشاعر الكبير

طاهر أبو فاشا

شاهد على العصر

حوار

عمر بطيشة

الشاعر الكبير

طاهـــر أبـــو فاشـــا

شاهد على العصر

الناشر: دار الفاروق للاستثمارات الثقافية (ش م م)

العنوان: ١٢ ش الدقي الجيزة - مصر
تليفون: ٣٧٦٢٢٨٣٠/ ٠٢ - ٣٧٦٢٢٨٣١/ ٠٢ - ٣٧٦٢٢٨٣٢/ ٠٢/ ٠٠٢ -
٣٧٤٨٠٧٢٩/ ٠٢ - ٣٧٤٩١٣٨٨/ ٠٢
فاكس: ٣٣٣٨٢٠٧٤/ ٠٢

فهرسة أثناء النشر / إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية. إدارة الشئون الفنية.

بطيشة، عمر.
الشاعر الكبير طاهر أبو فاشا / حوار. عمر بطيشة - ط ٠١ - الجيزة: دار الفاروق للاستثمارات الثقافية ...، [٢٠٠٩] ٧٢ ص؛ ٢٢ سم. / ١٨

تدمك: 978-977-455-508-4
رقم الإيداع: ٢٢٦٩٣ / ٢٠٠٩

١- برامج الإذاعة.
٢- الإذاعيون.
أ- أبو فاشا، طاهر.
ب- العنوان
ديوي: ٣٨٤,٥٤٤٣

الطبعة العربية الأولى: ٢٠١٠
www.daralfarouk.com.eg
www.darelfarouk.com.eg

حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار الفاروق للاستثمارات الثقافية، ولا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأية طريقة سواء أكانت إلكترونية أم ميكانيكية أم بالتصوير أم بالتسجيل أم بخلاف ذلك ومن يخالف ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية مع حفظ حقوقنا المدنية والجنائية كافة، و الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر وإنما تعبر عن رأي أصحابها.

الشاعر الكبيـر

طاهــر أبو فاشــا

شاهد على العصر

حــوار

عمر بطيشة

الشاعر الكبير طاهر أبو فاشا

تقديم

شهد وطننا العديدَ من الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية، التي كان لها أثرٌ كبير في تاريخنا المعاصر، وقد تباينت الآراء حولها بين مؤيدٍ ومعارض؛ ولأنه من حق الأجيال الجديدة أن تعرف تاريخ تلك الأحداث المهمة دون تزييف أو تنميق؛ لإيماننا بحق الناس الأصيل في المعرفة؛ ولأن التاريخ إذا كان مبهمًا أو مزوّرًا، ترتَّب على ذلك تشوه في الوجدان القومي يؤثر بصورة حتمية على الحاضر والمستقبل؛ لذا قمنا بنشر هذه السلسلة من برنامج «شاهد على العصر» - الذي قدمه الإذاعي اللامع الأستاذ: عمر بطيشة، رئيس الإذاعة المصرية سابقًا، نعرض من خلالها لشهادة مجموعة من أبرز الشخصيات العامة التي كان لها حضور مؤثر على الساحة الإعلامية؛ فكانوا بذلك شهود عيان على الفترة التي عاشوا فيها، كلٌّ يُدلي برأيه فيما شاهده من أحداث ووقائع، هذا ولم نقتصر في اختيارنا لهذه الشخصيات على فئةٍ معينةٍ من الأفراد، أو توجهٍ سياسيٍّ معين؛ بل تناولنا شخصيات سياسية، وأدبية، وعلمية، تمثل كافة التيارات

الثقافية والسياسية في مصر، وقد التزمنا الحياد التام، وتوخينا الصدق والأمانة في عرضنا لهذه الآراء كما أدلى بها أصحابها؛ لتكون سجلًّا موثقًا لفترة مهمة من تاريخنا الحديث؛ آملين أن نكون قد قمنا بإثراء الوعي الثقافي لدى أبناء هذا الجيل.

الناشر

مقدمة

لا تزال مسيرتنا تتطلع نحو الآفاق، وتتواصل مع العظماء من أبناء مصر الذين تفخر بهم، فهم أسهموا في بناء نهضتها، ورسموا ملامح وجهها الحضاري الجميل، وعبروا بأقلامهم عن آمال شعب مصر وتطلعاته، وفي هذا الكتاب يتحدث الشاعر المصري الكبير طاهر أبو فاشا، صاحب الموهبة الواسعة والإبداع العذب، ويتنقل في سياحة أدبية ثقافية رقيقة بين شوارع مصر وأهلها.

وطاهر أبو فاشا شاعر مبدع في كثير من الأغراض والمجالات، بدواوينه الكثيرة، واستلهامه للتراث، والعمل على إعادة صياغته وتقديمه للجمهور في ثوب جديد، من خلال حكايات «ألف ليلة وليلة» التي عرضت في الإذاعة وعلى شاشة التلفزيون؛ فبهرت العيون وأسرت القلوب واستبدت بالأرواح.

وفي هذا الكتاب يطوف بنا الشاعر حول قضايا متعددة، تهم القارئ العربي في كل مكان، ويبحر في عالم الذكريات الجميل والحياة القديمة التي كانت تختلف عن حياتنا تمام الاختلاف؛ حيث يسود

الحب والإخاء وتقوى الروابط الاجتماعية، ويكثر الخير والرخاء. فما دهى الحياة وما أصابها؟!

وتختلف المعاني الروحية عند هذا الشاعر الكبير، كالشجاعة والكرم اختلافًا واضحًا عنها عند سائر الناس، فكيف يراها؟ وكيف تحولت هذه المعاني إلى أبعاد إنسانية أعمق من معانيها المباشرة؟ هذا ما يبدو في حديثه بصورة عميقة.

وعلى أرض المنشأ التقت الحضارات وتلاقحت الثقافات ونشأ الأدب صغيرًا؛ حيث لم يكن الفن القصصي قد نما بعد، وإنما هو عبارة عن بواكير وبشائر، ولكن روح الشعر كانت وثابة قوية، طبعت أثرها في روحه ووجدانه؛ لذا نراه يعبر تعبيرًا صادقًا عن أحواله في فترة حياته، ويبين منزلته التي وصل إليها، ثم انحداره في مهاوي الضعف، بعد أن برز العلم وطغت مكانته، وهي حال للشعر لا تختلف عنها كثيرًا حال الغناء، في هذا العصر الذي وُجِّهت فيه الاتهامات إلى الإذاعة المصرية؛ إذ تعرض أغنيات ضعيفة.

أما حب الوطن والانتماء إليه فهو قضية عامة، يمسك جميع أفراد الوطن بطرف منها، ويذهبون فيه مذاهب شتى، فكلٌّ يعبر بطريقته وأسلوبه عن شعوره نحو الوطن، وقصائد هذا الشاعر في حب

الوطن ميزان صادق يمكن القياس عليه، فكثيرًا ما باح لسانه من خلال الشعر عن مكنون قلبه من هذا الحب الذي هو سمة من سمات الرقي الإنساني والحضاري، كما كان له مفهوم آخر للوطنية الصادقة، لا يتجسد معناها من خلال حب الوطن، من حيث الأرض والمكان والنيل والتاريخ، ولكن لها معنًى آخر يلفت أنظارنا جميعًا إليه؛ لنسير على دربه في حب هذا الوطن.

وللشاعر الكبير طاهر أبو فاشا موقف واضح، من قضايا الشعر المعاصر، لا سيما قضية الأصالة والمعاصرة، وقضية الموسيقى الشعرية التي نفتقدها كثيرًا في شعرنا هذه الأيام، والتي تحورت لتعتمد على ما يُسمى بالتفعيلة، أو الموسيقى المنبعثة من اتفاق نهايات الأسطر الشعرية، لكنها في نظر الشاعر الكبير ضرورة مهمة، ومقياس حقيقي للشعر الجيد.

كما يتمتع شاعرنا بالحرية والخصوصية في نظم الشعر؛ تمشيًّا مع مقتضيات العصر الحديث ومتطلباته، وقد لعب دورًا كبيرًا في تحديث التراث القصصي أو الأسطوري بصفة خاصة، فمن منا لا يذكر حكايات «ألف ليلة وليلة»؛ التي عُرِضت على شاشة التلفزيون المصري، ولم يستمتع بها؟ وقد عمد فيها إلى المزج بين الماضي

والحاضر، وتضمينها بالإشارات الحديثة، فكانت بذلك تجسيدًا لقضية الأصالة والمعاصرة. وما بين الماضي والحاضر، أو القديم والجديد تروح وتأتي القيم، ويبقى الأشخاص البارزون هم المشعل الذي ينير الطريق، والقدوة التي يسير على نهجها القادمون من أبناء هذه الأمة.

طاهر أبو فاشا

مدينة دمياط مدينة جميلة تمتاز بشواطئها الممتدة على البحر المتوسط ونهر النيل، كما تمتاز بمزارعها الخضراء وحدائقها المثمرة، وطبيعتها الخلابة، ولقد لعبت دورًا تاريخيًّا منذ استقبالها للفتح الإسلامي، والترحيب بالفاتحين والمشاركة في نشر الدعوة الإسلامية، وكذلك تصديها للغزو الصليبي، الذي جاء إليها عن طريق البحر في حملاته الثلاث الأُوَل؛ لذا كانت دمياط أرضًا تصطخب فيها المشاعر، وتعترك فيها الحكايات، ومكانًا خصبًا لميلاد الشعراء والمبدعين، الذين عبَّروا بوجدانهم عن مشاعر الأمة، وأناروا بأفكارهم عقول أبنائها.

ومن هؤلاء الشعراء المبدعين الذين نشئوا على أرض هذه المدينة العريقة ذات التاريخ والخصب والجمال، الشاعر الكبير طاهر أبو فاشا.

ففي يوم من أيام الشتاء في تلك المدينة الساحلية ذات البرد القارس يوم ٢٢ من شهر ديسمبر عام ١٩٠٨م، كان مولد طاهر أبو فاشا ونشأته البسيطة العادية، فقد نشأ أبو فاشا في مدينته، وتلقى تعليمه الأول في مدرسة الحزاوي الابتدائية، ثم التحق بمعهد دمياط

الديني، ثم بمعهد الزقازيق؛ حتى حصل على شهادة الثانوية، ثم التحق بكلية دار العلوم؛ ليتخرج فيها عام ١٩٣٩م، حاصلًا على الترتيب الثالث بدفعته.

وسلك في بداية حياته العملية طريق التدريس؛ الذي اكتسب منه خبرة بالحياة وقدرة على التعامل مع الآخرين، من خلال عمله مدرسًا بمدرسة «عنيبة» ثم بالواحات بعد ذلك، وغلبه الحنين للعودة إلى القاهرة بأضوائها المبهرة وأنوارها اللامعة؛ فقطع رحلة التدريس، وأبى إلا العودة إليها والعمل بها في ميدان الفن والصحافة والإذاعة، كما انضم لجماعة «أدباء العروبة» برئاسة مؤسسها الوزير الأديب إبراهيم دسوقي أباظة أحد كبار رجال السياسة والأدب، المشهورين بوطنيتهم الصادقة في مصر، وعينه سكرتيرًا برلمانيًّا بوزارة الأوقاف، فلما نُقل هذا الوزير إلى وزارة المواصلات نقله معه، وجعله وكيلًا لمكتب بريد العباسية، فرئيسًا للمراجعة العامة.

انتهى به الأمر بوظيفة، في إدارة الشؤون العامة للقوات المسلحة، ثم رئيسًا لقسم التأليف والنشر، وبقي بالوظيفة الأخيرة حتى أُحيل إلى المعاش.

أعماله ومؤلفاته:

تنوعت أعمال الشاعر الكبير طاهر أبو فاشا ما بين دواوين شعرية، وأعمال إذاعية، وأعمال نثرية.

أما الأعمال الأدبية، فقد صدر له عدة دواوين، منها:

- «صورة الشباب» عام ١٩٣٢م.
- «القيثارة السارية» عام ١٩٣٤م.
- «الأشواك» عام ١٩٣٨م، وكتب مقدمته خليل مطران.
- «راهب الليل» عام ١٩٨٣م.
- «الليالي» عام ١٩٨٧م.
- «دموع لا تجف» عام ١٩٨٧م.

وقصائد أخرى في بطون الدوريات والصحف لم يجمعها الشاعر، ولكن جمعها الباحث عزت محمود علي الدين، في رسالته للماجستير «طاهر أبو فاشا.. شاعرًا»، كما جُمِعت بعد ذلك في الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر.

كما صدر له عدة كتب، منها:

- هز القحوف في شرح قصيدة (أبي شادوف).
- الذين أدركتهم حرفة الأدب.

- العشق الإلهي.
- وراء تمثال الحرية.
- تحقيق مقامات بيرم التونسي.
- قصة ميناء دمياط.
- قصة السد العالي.
- سلسلة كتب عن التصوف الإسلامي.
- الجلاء.. من الألف للياء.

وكذلك له من الكتب التاريخية والسياسية أكثر من سبعة كتب مذكورة، كلها في رسالة «طاهر أبو فاشا شاعرًا» للباحث عزت محمود علي الدين، وهي مودعة في مكتبة كلية اللغة العربية، بجامعة الأزهر في القاهرة.

كان ينشر مقالاته الأسبوعية في جريدة محلية هي «أخبار دمياط»، منذ صدور العدد الأول منها عام ١٩٤٩م، وحتى وفاته، وكانت آخر مقالة نُشرت له في الصحف بعنوان «حركة الزمان وحركة الإنسان».

الأعمال الإذاعية:

يعتبر طاهر أبو فاشا من رواد الإذاعة الذين قُدِّم لهم عدد ضخم من الأعمال الإذاعية، ما بين تمثيلية وأوبريت وصورة غنائية، وهي كالآتي:

- الحلقات الشعبية من «ألف ليلة وليلة»، وكتب منها للإذاعة ٨٠٠ حلقة على امتداد ٢٦ عامًا، كما عُرِض العمل نفسه في حلقات للتلفزيون المصري في شهر رمضان، بأداء الممثلة شريهان.
- «أعواد الحصاد»؛ وهو برامج غنائية تتناول المحاصيل التي تنتجها الأرض المصرية.
- سلسلة «الأسرة السعيدة»، وهي برامج اجتماعية تعالج مشكلات الأسرة.
- أوبريت «في بساتين الفن والأدب».
- «أفراح النيل» التي لحنها محمود الشريف.
- أوبريت «رابعة العدوية» الذي غنته أم كلثوم، في فيلم يحمل العنوان نفسه، ومثلت به نبيلة عبيد لأول مرة، وكان سبب شهرتها.

- له مجموعة من الصور الغنائية؛ منها (ملاح النيل)، و(أصل الحكاية)، و(الشيخ مجاهد).
- كتب عملًا دراميًّا غنائيًّا ضخمًا عنوانه (سميراميس)، كان من المقرر أن تمثله أم كلثوم، وتوقف لأسباب مختلف عليها.
- قدَّم للإذاعة مسلسل (ركن الريف)، و(ألف يوم ويوم) في ٦٠٠ حلقة.
- قدَّم مجموعة كبيرة من الأغاني منها (نشيد الجيش)، و(نشيد الطيران) وغنتهما أم كلثوم.

الجوائز التي حصل عليها:

- كرمته مصر عام ١٩٧٦م باعتباره أحد الرواد الأوائل في الإذاعة.
- حصل على جائزة الدولة التقديرية في الآداب، من المجلس الأعلى للثقافة عام ١٩٨٨م، بعد أن رشحه للحصول عليها كل من جامعة الزقازيق، وجمعية الأدباء.

حكايته مع ألف ليلة وليلة

بدأت حكايته مع «ألف ليلة وليلة» بمصادفة انقلبت إلى واقع، حينما أهدى الأستاذ برانق - وهو زميل له - نسخةً مهذبة من كتاب

«ألف ليلة وليلة» إلى مدير الإذاعة في فترة الخمسينيات، الذي ما كاد يقرؤها؛ حتى أُعجب بها أيّما إعجاب، وقرَّر أن يجعل منها برنامجًا جديدًا يُقدَّم في الإذاعة، وقد وقع الاختيار على طاهر أبو فاشا؛ ليُعدَّ حلقات هذا البرنامج.

وقد اختلف أبو فاشا مع مخرج «ألف ليلة وليلة» حول نهاية الحلقات، فقد كانت نهايتها عبارة عن موسيقى، ولكنه أثناء كتابتها حتى مطلع الفجر، وقد أذَّن الديك، قرَّر أن يكون صياح الديك هو ختام الحلقات؛ التي كانت في بدايتها خمس عشرة حلقة، يتقاضى عن الحلقة الواحدة منها خمسة جنيهات، كان سعيدًا بها.

وبعد إذاعة الخمس عشرة حلقة، تهافتت عليه الإذاعة، والتلفونات، والخطابات، يطلبون المزيد من ألف ليلة وليلة؛ فزيد العقد من خمس عشرة حلقة إلى ثلاثين، واستمر النجاح، وجذبت «ألف ليلة وليلة» الجماهير أكثر؛ حتى إنه بعد انتهاء كل حلقة كان ينظر من الشباك؛ فإذا به يسمع الناس في البيوت والمقاهي يقولون مغنين: «ألف ليلة وليلة». فكان يرضيه ذلك ويشعره بالزهو، وهكذا استمر في كتابة المزيد من الحلقات حتى ثمانمائة حلقة؛ إلى أن ارتفع أجره من خمسة جنيهات إلى عشرة جنيهات لكل حلقة.

وهذه الحلقات تدور حول شهرزاد وشهريار ذلك الملك الدموي الظالم الذي كان يتزوج كل يوم من صبية، حتى إذا أصبح الصباح قتلها؛ والسبب في ذلك أن زوجته خانته مع عبد من عبيدها، فأراد أن ينتقم من الجنس كله، وهكذا تقول الرواية التي في الكتاب، ولكن هناك رواية أخرى تقول: إن شهريار كان عنده عقدة أخرى؛ لذلك كان يقتل العروس في الصباح؛ حتى لا ينكشف سره.

ويقول أبو فاشا: «إن ألف ليلة وليلة دفاع عن المرأة، فقد قبلت شهرزاد أن تقدم نفسها لشهريار، واستطاعت أن تتركه معلقًا ليلة بعد ليلة؛ حتى قضت معه ألف ليلة و ليلة، وبرئ الملك من دمويته».

ولم يكن طاهر أبو فاشا يعتمد على كتاب واحد في كتابة الحلقات، ولكن عندما نفدت حكايات كتاب ألف ليلة وليلة، راح يكتب الحكايات من خياله أو من الحواديت التي سمعها من جداته.

وعن تصوره لليلة الثانية بعد الألف يقول طاهر أبو فاشا: «لقد كتبتها فعلًا وكنت أنوي تقديمها في ختام الحلقات عندما تكتمل الألف ليلة وليلة، ولكن كما قلت، لم تذع إلا ٨٠٠ حلقة فقط، وكان تصوري أن شهرزاد في الليلة الثانية بعد الألف جاءت للملك ورفضت أن تحكي له حكايات جديدة؛ فيتعجب شهريار ويقول:

أنتِ تعلمين أنني لا أنام إلا على الجرعة التي تسكبينها في سمعي كل ليلة، فتقول: وأنا لا يمكن أن أحكي لك.

ونام الملك تلك الليلة ورأى فيما يرى النائم أن جميع أبطال «ألف ليلة وليلة» يحاكمونه، ومنهم السندباد البحري، والشاطر حسن، ومعروف الإسكافي، والملك السمندل وغيرهم، يقولون لشهريار: إن كل الناس يعيشون مع زوجاتهم في أمان الله، فلماذا أنت الذي تقتل زوجاتك؟ أنت مجرم. ويحكمون عليه بالإعدام ويُخرجون له السيف؛ لقتله، فالسيف يلامس رقبته؛ فيئن أنينًا مكتومًا تسمعه شهرزاد؛ فتقول له: ما لك يا مولاي؟ فيقول: الحمد لله.. الحمد لله. فتقول له شهر زاد: ماذا حدث يا مولاي؟ فيقول: لا شيء.. لا شيء. وتدخل إحدى الجواري؛ فتقول لشهريار: إن الصبايا العذارى في ساحة القصر ينشدن نشيد شهرزاد ويحتفلن بكِ يا شهرزاد. وبذلك تنتهي الليلة الثانية بعد الألف ولكنها لم تذع، وأهديتها لمجلة (الإذاعة والتلفزيون) بمناسبة شهر رمضان الكريم».

لذلك كله طغت شهرته كاتبًا إذاعيًّا على شهرته شاعرًا وأديبًا، وانشغل الناس بأعماله التي تُعد من عيون الأدب الإذاعي، عن قيمته الشعرية والفنية الرفيعة باعتباره واحدًا من الشعراء المبدعين

في جماعة (أبوللو) التي كانت روحًا ثائرة ومتمردة، وحركة تجديدية في الشعر العربي الحديث.

وله سمات شعرية تميزه عن الآخرين، من أهمها اتكاؤه على التراث، وأصالة انتسابه إليه، والإحساس القوي بعروبة الشعر وعمق انتمائه إلى شجرة الشعر العربي.

وفي الوقت نفسه شيوع أنفاس التجديد التي تتردد في أبهائه وجوانبه، وتكسبه طابع العصرية والتناغم مع العصر وتجاربه وحساسيته، ومن هنا تتراوح شاعرية طاهر أبو فاشا بين رومانسية الأداء التي نعرفها عند شعراء (أبوللو)، من أمثال إبراهيم ناجي، وعلي محمود طه، وأبي القاسم الشابي، ومحمد عبد المعطي الهمشري، وصالح جودت وغيرهم - وعمق التأمل ونفاذ الفكر الذي نعرفه عند شعراء جماعة الديوان (العقاد وشكري والمازني)، وميلهم إلى النقد والتحليل والسخرية وإعمال العقل والمنطق. حتى إذا بزغت حركة الشعر الجديد، وجدنا طاهر أبو فاشا لا يتخلف عن الركب، ويدلي بدلوه في حصاد منجزاتها الشعرية الأولى، كما تحققت لدى شعراء الموجة الأولى، وفي قصائد السياب، والبياتي، ونازك الملائكة، وصلاح عبد الصبور، وظلت هذه النزعة التجديدية في شعره

وشاعريته تميزه عن غيره من شعراء جيله، كما اصطبغ إنتاجه الشعري - في كثير من قصائده - بالنزعة الدرامية، ولغة الحوار، ومخاطبة الآخر، نتيجة لممارسته الطويلة والعميقة للكتابة الإذاعية الدرامية والغنائية قرابة أربعين عامًا متصلة.

واللغة عند طاهر أبو فاشا تحفل بصور الطبيعة الحية، والوجود الإنساني، وإبراز التضاد والتقابل بين عناصر الخير والشر، والسعادة والشقاء والصفو والكدر، وكأنها حريصة على تأكيد معنى وتوجيه رسالة وتعميق دلالة لها بعدها الاجتماعي والإنساني، مما ينبع عن رصيد الوعي ومساحته عنده، وانغماسه في حركة المجتمع والحياة من حوله، وانشغاله بما تموج به من مواجهات وقضايا.

ومن ملامح الشعر والشاعرية عنده حرصه على تقاليد القصيدة العربية؛ من حيث اللغة والجرس والإيقاع، وتميزه بالحيوية والانطلاق، واحتفاله بالقيم الجمالية والبلاغية وثروته اللغوية الواسعة التي تجعله يؤثر في بعض الأحيان ألفاظًا واشتقاقات وجموعًا وصيغًا غير معروفة أو شائعة، لكنها صحيحة فصيحة، فيكون لها نصيب موفور من حسن الوقع والتأثير والإمتاع، والكشف عن احتشاد الشاعر للغته وأسلوبه، قدر احتشاده لتجربته الشعرية إنضاجًا وكشفًا وتجلية.

يظهر ذلك بوضوح في ديوانه «راهب الليل»، وهو أهم دواوينه، وأحفلها بالتجارب الشعرية الكبرى واللغة الشعرية الأكثر نضجًا واكتمالًا، وقد أصدره بعد طول توقف وانقطاع عن الإخلاص للشعر، بعد خمسة وأربعين عامًا كاملة من صدور ديوانه السابق عليه «الأشواك».

وكما تغيب الشمس عن ساحة النهار، بعد أن أضاءت الدنيا واستحال ضياؤها ظلامًا، غابت شمس الشاعر الكبير طاهر أبو فاشا، وأفل نجمه الثاقب حين وافته المنيَّة في الثاني عشر من شهر مايو ١٩٨٩م، مُخلِّفًا وراءه فراغًا كبيرًا لا يكاد يسَد، وحزنًا عميقًا لا ينتهي، حين أذَّن ديك الصباح معلنًا عن انتهاء رحلة من الحكايات والعطاء، طالما أسعدت النفوس، وشوَّقت القلوب في حكاية من حكايات «ألف ليلة وليلة».

نص
الشهادة والحوار

للناقد العالمي الشهير «ليفيز» كلمة شهيرة يقول فيها: «لن أضع سيفي حتى تثبت للأدب دولته، في عالم يجري حسابه بالكمبيوتر»، وهذه المقولة تضع أكثر من دلالة على موقع الشعر والأدب في عصر التكنولوجيا وغزو الفضاء، ولعل ذلك يكون أساس حوارنا مع شاهدنا على العصر اليوم، وهو واحد من أكبر شعرائنا المعاصرين الذين اتسعت موهبتهم؛ لتبدع في أكثر من مجال، فهو له إسهاماته الكبيرة في الشعر؛ حيث قدَّم أكثر من ديوان أحدثها: «راهب الليل». كما قدَّم أكثر من عمل في الإذاعة والتلفزيون من أشهرها «ألف ليلة وليلة» و«الأغاني» و«رابعة العدوية»، إنه الشاعر والإذاعي الكبير طاهر أبو فاشا[1].

الحياة القديمة بين الميزان والأوقية

☜ بداية، نود أن تطلعنا على رؤيتك لواقعنا التي بالتأكيد ستكون رؤية خاصة للغاية، ونود أن نطَّلع على شهادتك على عصرنا، وكيف تكون، ومع من؟ وضد من؟

- حقيقة، أنا أتهيب هذا اللقاء، وأراني في رهبة من هذا الموقف؛ لأن الشهادة على العصر ليست شيئًا بسيطًا، ولا أدري ماذا

(١) أجري هذا الحوار في يولية ١٩٨٦م.

تقصد من الشهادة؟ وكيف أشهد على العصر؟ وما المقصود بالعصر؟ فإن (أل) هنا تفيد التجهيل، هل أشهد على عصري أم على العصر السابق؟ فإني من الذين سلكوا مشوارًا طويلًا في طريق الحياة، فقد أفردت حوالي ثمانين حبة من عقد حياتي، وشهدت أيامًا غريبة، وحياة غريبة، يوم كانت الدنيا غير الدنيا، والناس غير الناس، والطبيعة غير الطبيعة، كانت الحياة رخية سهلة، أدركت عهدًا كانت الحياة فيه تُضاء بالمصباح «نمرة أربعة»، ولم تكن الكهرباء قد دخلت بيوتنا، وكذلك المياه، فقد كان السقا يأتينا بالماء كل يوم، وكانت الدنيا بسيطة، والسلع رخيصة، فقد كان السمك الذي يباع الكيلو منه الآن بعشرة جنيهات أدركته وأنا متزوج بستة قروش، ليس الكيلو وإنما الأوقية، وكنا قبل ذلك - في العهد القديم - لا يباع السمك بالميزان، وإنما يباع بما يسمى القبال، يعني ما يقابله، يقول له بكم هذا القبال، فيرد عليه: بقرشين صاغ. وقد حدثني المهندس الكبير الحاج محمد درة، حدثني أن أباه - عليه رحمة الله - كان يرسله وأخاه المهندس طاهر درة ومعهما صفيحة، ويعطيهما قرشين ويذهبان إلى سوق السمك، ويعودان بالصفيحة ملأى بالجمبري، كان الجمبري يباع

بالأوقية أيامها، وقبل ذلك كان يباع بـ«الشروة»، فكان يباع الخمس أوقيات بقرش صاغ، وإذا كثر فست أوقيات أو سبع، بقرش صاغ!

رخاء بلا مال

☜ ألاحظ أن معظم شهود العصر يتذكرون الأيام القديمة الجميلة، التي تتركز حول رخص السلع وغلائها الآن، وربما نتذكر أيضًا أن الشاعر قديمًا كان حكيم العصر، وناصح القبيلة ومستشار الحكام، ونود أن نعيد هذه الوظيفة الآن إلى الشاعر الكبير الأستاذ طاهر أبو فاشا، فإذا كنت قد بدأت بالذكريات القديمة الجميلة في الماضي، فنحن نسألك عن رؤيتك العامة لهذه المرحلة من العصر الحاضر التي نعيشها الآن، وأهم ما ترصده فيها من ظواهر ومتغيرات، غير الغلاء؟

– أرى من المحاسن المنهجية عند الشهادة على العصر أن نقارن بين القديم والحديث؛ فنعرض جزءًا من الحياة القديمة، ثم نقارنه بما نراه وما نعايشه الآن، وقد ذكرت لك أن الحياة كانت رخيصة بشكل غريب، ومع هذا كان الناس يستغلون الأثمان وكانوا يضجون من الغلاء، وكان الناس مع هذا يعيشون

في رخاء؛ ولكن مع شيء من الألم؛ فإن المال كان قليلًا. صحيح هناك رخاء ولكن بلا مال، ومن هنا تغلو الأشياء.

الشجاعة والكرم في ثوبهما الجديد

هذا المنطلق الاقتصادي الذي بدأ به الأستاذ طاهر أبو فاشا، هل لحياتك في دمياط صلة به، فالمعروف أن أهل دمياط يتمتعون بشيء من الحرص المطلوب؟

إنك تجرُّني جرًّا إلى الحديث عما يشاع عن بخل دمياط، وأذكر أن أختنا المذيعة التي تذيع «سلوكيات» السيدة ملك إسماعيل، كنا في ندوة تلفزيونية، ولما صعدت إلى المسرح فاجأتني بقولها: إن الدمايطة بخلاء.

نحن لا نقول بخلاء بالطبع، وإنما نقول: لديهم هذا الحس الاقتصادي الذي ينبغي أن يتوافر في جميع الشعب المصري الآن، خاصة في هذه الظروف التي تمر بها بلادنا.

- هذا فهم سليم منك، ولكني ليلتها قلت لها: يا ابنتي، إنما يشكو من بخل الرجل زوجته وأولاده فقط؛ لأنهم هم من سينعكس عليهم بخله، أما أنت فماذا تريدين مني ومن الدمايطة؟

لا بد أنك فضولية. فضحك الجمهور وصفق، فقالت لي: ها هم يصفقون لك. فقلت لها: يا ابنتي، إن الكلمات تزحزحت عن معانيها، فكلمتا بخل وكرم لم تعودا بالمعنى القديم، كأن يجيئني الضيف؛ فأذبح له خروفًا، أصبح الكرم أن أتبرع للجمعيات الخيرية مثلًا، ولم تعد الشجاعة شجاعة جسدية فقط، فلم يعد يصلح أن يقال: مال على اليمين؛ فقتل كذا، ومال على الشمال؛ فقتل كذا، هذا كلام قديم، أما الآن فقد أصبحت الشجاعة أدبية، وليست جسمية، فتغيرت معاني الشجاعة، وتغيرت معاني الكرم، وكذلك يفعل الزمان، فهو يفعل في الكلمات ما يفعله بالناس، تتحور معاني الكلمات، ويتغير الناس مع ذلك، فليس كريمًا من يذبح لي خروفًا، ولم يعد أحد يفعل ذلك، وإنما الكرم الآن أن أتبرع للجمعيات الخيرية.

ذكريات الزمن الجميل

لكني فهمت منك أن الزمان يغير معاني الكلمات من عصر إلى عصر، ككلمة «أفندي» التي كانت دلالة على الاحترام في بدايات هذا القرن، الآن أصبحت نوعًا من السخرية الشديدة.

- قد يكون هذا صحيحًا، فالعصر يترك أثره على كل شيء فينا، والمثل الحي في ذلك ما أشرت إليه من انعكاس على كلمتي الكرم والشجاعة، فقد انحرف معنى الكلمة عن معناه الذي كان عليه، والناس كذلك يتغيرون؛ فالناس في العهد الذي عشناه قديمًا ونحن أطفال، كانوا يتعاونون على ضعف وفقر، وكان المجتمع فيه الأغنياء والمتوسطون والفقراء، كان فيهم المياسير وفيهم المساتير، وفيهم المحاويج، ومع هذا كان الجميع يعيشون راضين شاكرين حامدين، هذا هو الفارق بين الزمن الذي عايشناه صغارًا والزمن الذي نعيشه الآن، وقد كان والدي تاجرًا وكنت أسمع الحاج «محمد محرز» كبير التجار في العرصة - والعرصة هي الشارع الذي يوجد فيه تجار الحبوب - يأتون فيسرُّون إليه كلامًا فيمد يده إلى جيبه ويخرج ما تيسر، ويعطيه لهم، ويذهبون إلى غيره، يسرون إليه كلامًا؛ فيعطيهم ما تيسر، فما الحكاية؟ الحكاية أن الحاج «محمد الغامري» كان له مركب بصل غرقت في البحر؛ واعتزل في البيت حزينًا لا يخرج، فيجمعون من بعضهم نقودًا تعوضه ما خسر، ويذهبون إليه ليلًا دون أن يراهم أحد، ويهمسون إليه همسًا،

خذ هذه الأموال، وارجع إلى دكانك وتابع أعمالك، ولم تكن هناك كهرباء في هذه الأيام، يخوضون في الظلام، وأحيانًا في الشتاء وبرد دمياط قاسٍ جدًّا، ولم تكن الأرض مرصوفة فكانت الأرض موحولة، يذهبون إليه في هذا الجو، ويسرون إليه بكلمة المعروف ويصبح الرجل وقد فتح محله، وعادت تجارته وعادت إليه بشاشته، هذا زمان عشناه ورأيناه، فهل الآن يفعلون ذلك؟!

دمياط ملتقى حضاري وثقافي

☜ هل يفتقد العصر الحاضر قيمة الترابط الاجتماعي بين الناس؟

- نعم، فقيمة الترابط لسد الفقر والجوع والضعف التي كانت موجودة في أيامنا، اختلفت صورتها الآن، ولم يكن مهمًّا أن يكون المعطي غنيًّا؛ ليكون كريمًا، فبشار بن برد يقول:

بث النوال ولا تمنعك قلته   فكل ما سدَّ فقرًا فهو محمود

وأنت أشرت إلى دمياط كمدينة الماء والشمس والهواء، وجوها جميل جدًّا خصوصًا في الصيف، وفي الخريف وفي الربيع، وهذه المدينة كان لها ميناء حي، يأتيه التجار من كل مكان، وهم لا يحملون عروض

التجارة فقط، وإنما يحملون مع التجارة العادات والتقاليد واللغات، فنشأت من ذلك حركة حضارية تمازجت بها الحضارات وتلاقحت الثقافات، وانتشر في دمياط الأدب، وكان الأدب في العهد الأول الذي عشته طفلًا عبارة عن الشعر والمقالة فقط، لم تكن القصة قد نشأت وإنما نشأت بواكير أو بشائر نراها في أمثال كتاب (يُحكى أن)، وكانت المقالة يجهدها ويثقلها المحسنات البديعية، أما الشعر، فكان رائجًا وكانت سوقه نافقة، وكان في دمياط شاعر كبير هو الأستاذ علي العزبي، وهو شاعر فحل، وكان شاعرًا محفليًّا جهيرًا، ومن عباءته خرج جميع شعراء دمياط، خرج منها الجبلاوي، وخرج منها الأسمر، وخرج منها حسن كامل الصيرفي، ومن الغريب أن الشعر في دمياط كان لا يتوقف على درجة ثقافية معينة، فكنت ترى المدرس الشاعر، والخُردجي الشاعر، والحلواني الشاعر، فقد رأينا الحلواني الشاعر بدر محمدين، والخردجي الشاعر فهيم القللي، وكان كل الناس يسمعون الشعر أو يقولونه؛ فماذا كانوا يقولون في شعرهم؟

حاولت أن أجد لشاعرنا الكبير علي العزبي شعرًا في الغزل فلم أجد، فجل قصائده إما «إخوانيات»، أو «استقبال»، أو «عزاء ورثاء»، هذا في الشعر، وكان علي العزبي مشهورًا جدًّا كشاعر محفلي

جهير، فلما دخلت معهد دمياط وجدت هناك مشيخة من الشعراء أيضًا، وعنهم تلقيت أولى خطوات الشعر، وبدأت أحاول محاولات، وذهبت أعرضها على شاعرنا الكبير الأستاذ علي العزبي - عليه رحمة الله - فضحك، وقال لي: اقرأ واستمر، فإني أرى فيك شاعرًا واعدًا، وإن لم تكن الآن شاعرًا.

تحولات ثقافية

لقد أخذتنا إلى حديث الشعر، ولو أنه كان في المرحلة الأولى المبكرة من حياتك، لكنك فعلًا، نقلتنا إلى هذا الموضوع المهم، وأنا سأذكر لك مقولة شهيرة للناقد الإنجليزي الكبير «ت. س. إليوت» يقول فيها: «إن الشعر في حضارتنا المعاصرة لا بد أن يكون صعبًا ومعقدًا؛ لأن حضارتنا معقدة ومتراكبة». والسؤال هو: ما هو تحديد موقع الشاعر الكبير طاهر أبو فاشا لموقع الشعر في عصر العلم والتكنولوجيا، بعد أن كان عامة الناس في زمنك ينظمون الشعر، كالحلواني والترزي والحلاق؟

- كانوا شعراء، ولكنهم لا ينظمون كلامهم شعرًا، بل كانوا يتكلمون بصورة طبيعية، ولكنهم كانوا يقولون الشعر، وإن لم يقولوه كانوا يستمعون إليه، ويحسنون الاستماع.

☜ هل تراجع الشعر في هذا العصر؟

- لم يتراجع، وإنما تحوَّل كما يتحول كل شيء، فدورة الزمان تغيِّر كل شيء، لم يكن هناك شعر حديث وشعر قديم، لم يكن قد ظهر شعر التفعيلة الموجود الآن، ولم تكن ألوان الشعر الأخرى قد ظهرت، أقصد الشعر القصصي والشعر المسرحي، كانت القصيدة غنائية ذاتية تتحدث عن مدح أو رثاء أو ما إلى ذلك من الموضوعات المحفلية، وندُر أن تجد منهم من كان في شعره عاطفة غزلية لا أدري لماذا، مع أنهم كانوا فحولًا!

☜ مع أن المدرسة الرومانسية كانت قد انتشرت في هذا العصر الذي تتحدث عنه، مثل: عباس العقاد وعبد الرحمن شكري وأبو شادي، أم تراني مخطئًا؟

- لا بل هو كذلك، لكن الفترة التي أحكي عنها متقدمة قليلًا عما تقول، فالآن نرى الشعر تغيَّر، هناك شعر حديث وشعر قديم، والشعر الحديث تغير من حيث الموضوع، ومن حيث الشكل، والقصيدة التقليدية أيضًا تأثرت وأصبحت تتناول موضوعات لم تكن تتناولها من قبل.

منزلة الشعر

☜ ولكن هل تغير جمهور الشعر بدوره؟ فنحن نلاحظ الآن انصراف المثقفين والمهنيين بشكل عام عن قراءة الشعر؛ حيث نسمع – على سبيل المثال – عن شاعر في إنجلترا يطبع مائة ألف نسخة من طبعته الأولى لديوانه، وشعراء يقفون في حديقة «هايد بارك» ويلقون أشعارهم ويلتف حولهم الآلاف؛ فلماذا تراجع الشعر في مصر هذا التراجع وانصرف الناس عنه؟

– هناك حقيقة تناولها النقاد وهي أنه في العصور المظلمة قبل نضوج الكتابة كان الشعر قويًّا، فقد عاش أجدادنا على الفن ولم يعيشوا على العلم، ونحن الآن نسأل بعدما وصل العلم مبلغه واتسع هذا الاتساع: هل أسعدَ العلم البشر؟! أم أن البشر كانوا سعداء في الغمامة التي كانت تظلهم في العصور الأولى التي يعيشون فيها في ظلال الفن والشعر؟

☜ نذكر أن معركة فكرية كبرى قامت منذ سنوات قليلة بين الناقد الأدبي الشهير «ليفيز» الذي نقلت لسيادتك مقولته في البداية، وبين العالم «سنو» الذي ادعى أن الشعر قد تراجع في هذا العصر ويجب أن يترك مكانه للعلم، وعمومًا فقد حسم المعركة بين العلم

والشعر العالم «هوايت هد» الذي قال: «إن العلم بما أنه يكتشف كل يوم جديدًا، فهو يتعايش مع عالم المتغيرات، أما الشعر فهو يتعايش مع عالم الجوهر، الحقيقة الأبدية والأزلية الخالدة».

- هنا مقولة أيضًا في دراسة لشيخنا العقاد، يقول فيها: إن الإنسان سيظل عاطفيًّا ما دام إنسانًا، وما دام عاطفيًّا فلا بد أن يبقى الشعر، وأن يبقى الغناء، وأن تبقى الموسيقى ردًّا على جماعة كانوا يقولون: إن العصر لا يتحمل هذا الكلام، لا يتحمل أخيلة الشعراء ولا كلامهم، فالشعر هو الشعر، والإنسان شاعر بوجداناته وبعواطفه، وما دامت هذه التركيبة موجودة في الإنسان، فسيظل الشعر قائمًا على قدميه، وستظل الموسيقى قائمة على قدميها، وستظل الفنون باقية.

الغناء على حافة الهاوية

☜ على ذكر الموسيقى والغناء - وبالطبع فالجميع يعرف أنك صاحب أوبريت رابعة العدوية، والعديد من الأغنيات والغنائيات - أطرح عليك مقولة ابن خلدون: إن أول ما يسقط عند سقوط العمران هو فن الغناء؛ فما تقييمك لهذه المقولة في ضوء تحليلك لما وصل إليه حال الغناء في عصرنا؟

- إني أتعجب! كيف يسقط الغناء الذي هو مرتبط بالغرائز، ومرتبط بالعواطف فلا ينتهي أبدًا، ربما يتقهقر أو يتراجع، أو يصاب بالضعف، أما أن يسقط فلا.

إنه حين يُبتذل فإنه يكون قد سقط، عندما يكون خلف الغرائز فهو سقوط.

- إن العصر في هذا الحال يكون منحطًّا، وأنا أذكر أنهم كانوا يعيبون على الإذاعة أنها تذيع أغاني هابطة، فكنت أقول لهم: ولماذا الإذاعة فقط، وماذا لدينا غير هابط؟! وهل تنتقي الإذاعة الأغاني الهابطة لتذيعها؟! بل الإذاعة تختار أحسن ما هو موجود، وأحسن الموجود هو الذي تسمعونه.

إذن الشاعر الكبير طاهر أبو فاشا يدافع عن الأغنية في هذه المرحلة من العصر، ولا ينضم إلى موكب المهاجمين لها.

- لا؛ بل أقول: ليس في الإمكان أبدع مما كان، وأقول لهؤلاء المهاجمين: هل تتصورون أن الإذاعة أتاها كلام جيد فتركته وانتقت الكلام الرديء؟! إنها تختار أحسن ما يكون، وأنا أذكر - وإن كنت من أنصار الفصحى - أنني كنت مسافرًا مع الأستاذ الأخ سيد مكاوي إلى دمياط، وفي أثناء سفرنا قلت له موالًا:

قالوا منين البلد
أنا قلت دمياطي
وأبو المعاطي نزيل أرضي ودمياطي
بلد تجلى عليها المنعم العاطي
وولادها عمال لهم آمال،
صنايعية وأسطوات يا ولد ما يحطوهاش واطي
فقال لي: أضف عليها كوبليهين، فأضفت:
على دمياط هلهلَّا على دمياط هلهلَّا
على دمياط ياخدني الشوق
أدق الباب واشوف الاحباب
وامسي ع الجمال والذوق
واجيب لي من ترابها حجاب
واقول للنوتي ما تياللا
ما طاب الريح وقال ياللا
على دمياط هلهلا
من الشَّرَباصي للبركِة
وشي لله يا مدبولي

وسوق الحسبة لُه حسبِة

نسيتها لما قلتولي

روايحِ الخُمس أهي هلا

ونور الفجر قام صلَّى

على دمياط هلهلا

وبعدما وصلنا دمياط أنا وسيد مكاوي، إذ به يصعد إلى المسرح ويتناول العود ويأخذ في الغناء وبالفعل غنى موالي، فهز الدمياطيين هزًّا عنيفًا بهذه الأغنية.

يبدو أنك عاشق لدمياط.

- بالطبع فهي أول أرض مس ترابها جلدي، فهي كما وصفت مدينة الشمس والماء والهواء، أيضًا فهي مدينة التاريخ؛ حيث تجد هناك تل العظام، وهم الشهداء الذين ماتوا دفاعًا عن دمياط، ودمياط كان لها سور جميل، وعلى هذا السور كانت أشجار الموز المشهور بحلاوته، فلما ذهب إليها الرحالة المشهور ابن بَطُوطة، ولا تقل: «بطُّوطة» بتشديد الطاء، لما ذهب إلى دمياط وجد الدمايطة يتركون المعز ليلًا يسرح في الشوارع، فقال: دمياط سورها حلوى - يقصد السور عليه أشجار الموز - وكلابها غنم.

☜ لو أننا أحببنا مصر هذا الحب الذي تكنه لدمياط، وتكامل هذا الحب لدينا لما شكونا من ضعف الانتماء الوطني، أليس كذلك؟

- فعلًا، فحب الوطن والانتماء إليه شعور طبيعي، يكسب الإنسان شيئًا من الاطمئنان، أن تحس بأنك في مجتمع أنت منه وهو منك، حتى المجتمع الصغير - كما ذكرت لك دمياط - والأصغر وهو البيت، ولابن الرومي قصيدة مشهورة يقول فيها:

ولي وطن آليت ألا أبيعه وألا أرى غيري له الدهر مالكا

وهو يقصد بوطنه هنا البيت، منزله؛ ولذلك قال:

وألا أرى غيري له الدهر مالكا

فحب الوطن سمة من سمات الرقي الإنساني والحضاري، والناس لا يرتقون إلا إذا أحبوا أوطانهم، ولكن ما المقصود بالوطن؟ هل الوطن هو الأرض أم السماء؟ كانوا يعلموننا أن الوطن هو ما أقلتك أرضه وأظلتك سماؤه، لكن الحقيقة أن الوطن هو المواطنون، الوطن هو ناسه؛ ولذلك ينشأ الحب، فأنا إذا أحببت مصر، هل أحب طوبها وحجارتها وبيوتها؟ كلا، ليس هذا فقط بل أحب المصريين، كلمة (أحب مصر) تعني أن أحب المصريين، وأعيش بينهم وأعايشهم، وآخذ منهم وأعطيهم.

المفهوم الحقيقي للوطنية

☜ هذا هو مفهوم الوطنية الذي نرجو أن يسود؛ لأن مصر كما قلت هي المصريون، وليس النيل والخضرة، وإن كان كل ذلك على قدر كبير من الجمال والأهمية.

- هي مظاهر لا بأس بها، ولكنها ليست الوطن، وليست كل شيء، ولنا أن نتصور لو أن هذه المعطيات موجودة ولكن بلا شعب، فما قيمة هذه الأشياء؟ فالوطن هو المواطنون.

☜ وبالتالي يكون حب هذا الوطن متمثلًا في حب مواطنيه، والعمل على خدمتهم والرقي بهم.

- نعم، وإلا فما معنى أن ترقى بالبلد دون أن ترقى بالناس، فالناس إذا ارتقوا، حتمًا يرتقي معهم المكان، وتتوافر خدماته.

الموسيقى الشعرية

☜ نعود إلى حديث الشعر - حديثك المفضل - ونقدم لك تساؤلًا للشاعرة الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي عما سيقوله النقاد سنة ٢٠٠٠ عن الإنجازات الشعرية في الأعوام الثمانين التي انقضت من هذا القرن، خاصة بعد حرب فلسطين، هي تجيب على تساؤلها بنفسها فتقول: إن هؤلاء النقاد سيسجلون لهذا

الجيل أنه نزع إلى التحرر وتغيير التقنية الشعرية والبحث عن هوية جديدة في الشعر والحياة، وعاش تناقضًا حادًّا، فقد بلغ شعر المنابر ذروته الجهورية الرنانة وشعاراته ونماذجه المكررة، كما انتهى الشعر الطليعي إلى قصيدة النثر وكثير من الحذلقة والإبهام والتعقيد؛ فما تعليقك على هذه الرؤية؟

- أنا أوافق عليها دون تحفظ، وقصيدة النثر ليست شعرًا، سمِّها أي شيء إلا أن تكون شعرًا؛ فالشعر لا بد فيه من الموسيقى، لا بد من الإيقاع والوزن.

☜ لو اخترت قصيدة من نماذجك تمثل جيلك وهذه المرحلة من العصر، وتكون شهادة منك على العصر شعرًا؛ فماذا تقول؟

- أقول قصيدتي عندما عدت إلى الزقازيق في ركب دسوقي باشا أباظة، عندما جمع أدباء العروبة إلى مهرجان شعري في مدينة الزقازيق، وهي مدينة لنا فيها أيام وأيام، عندما كنا نتعاطى المعرفة في معهد الزقازيق، ثم بدؤوا في إلقاء قصائدهم في مدح الباشا، وأنا تركت هذا كله واعتذرت في القصيدة، وأسميتها «رجعة إلى مُوَيْس» ومويس هذا نهير يمر بالزقازيق، كانت لنا على شطآنه ذكريات، أقول في هذه القصيدة:

وصل الركـب يـا نـديم فهـاتِ　　هــذه رملتــي وتلــك ربــاتي
الرياض اللفاء والرفرف الخضـ　　ـر ومغنى الصبا وملهى اللّذات
ومُوَيْسُ السكران راويـة الحـب　　وســاقي لحونــه الــثملات
معبـد الراهـب الخليـع بـساط　　للنــدامى وموعــد للغــواة
العجوز الزنـديق خمارة الـشعـ　　ـر وعـزّى نـدمانها والـلات
خطـر الفـن حولـه فجفـا يـسـ　　ـتغفر الحسن والعيون اللواتي
وعــلى صــدره بُغــام حنــينٍ　　وعــلى شــطّه عُــرام ســقاة
أنــا أيــضًا مــن الــسقاة ولي في　　ذلــك الــشط قــصتي ورواتي
فوق هذا الثرى سكبت من العمـ　　ـر سنينًا عـصرتها مـن حيـاتي
وعــلى هــذه الرمــال تناولــ　　ــت كتـاب المأسـاة والمسلاة
والزمـان المطمـور تحـت رباهـا　　بعض ذاتي وفيه بعض صفاتي
فاعذروني إذا لويت عـنْ الركــ　　ــب فـإني أسـير في ذكريـاتي
يــا ســقى الله بالزقــازيق أيــا　　م صـباي النـواضر العطـرات

وهنا أذكر أيام الزقازيق والمعهد، وأيام المجاورين؛ حيث كنا نأكل شيئًا اسمه (بغيرِه)، أتعرف ما (بغيرِه)؟ هناك بيت قديم يقول:

من لم يمت بالسيف مات بغيره　　تعددت الأسباب والموت واحد

فكنا نأكل (بغيره) هذا، نفطر بغيره ونتغدى بغـيره ونتعـشى أيـضًا به، فما (بغيره)؟ كنا نـذهب إلى بقـال في الحـسينية يـسمى عبـد العزيـز سعدني بجوار المعهد وكان يقول الشعر، فـنملأ علبـة مـن (الكرامِلّـة)

الفارغة مشًّا، بتعريفة، ويضع لنا فوقها زيتًا حارًّا بنكلة[١]، و«نشحت» بعضًا من الشطة، ونعصر فوقها خمس ليمونات، ونضرب هذا الخليط ضربًا شديدًا، حتى يغلظ قوامه؛ بحيث إذا وضعت إصبعك فيه لحظة ثم أخرجته كان يلتهب، فكنا نسمي هذا الخليط (بغيره).

ثم كنا نطبخ في بعض الأيام الأرز والعدس ونفرغه في صينية أمام المجاورين، وتكون تلك هي أيام النعمة والرخاء، التي لا تدوم كثيرًا، ثم انظر كيف أصور هذا:

يا سقى الله بالزقازيق أيا   م صباي النواضر العطرات
وسنينًا كأنها طرفة العيـ   ـن خفافًا مررن كاللحظات
من ترى أيقظ الخواطر حولي   وأثار المطوي من صفحاتي
وأعاد الأيام والمعهد السا   مق مسروج بالنجوم الهداةِ
الفحول الأعلام أمثلة الزهـ   ـد وشيخانه العدول الثقات
ورفيق كأنه هامش الشر   ح إذا صات يمضغ القافات
حنبلي كأنه الجمل الأو   رق صخابة كثير اللتات
السراج العليل يشهق في محـ   ـرابه والبلى يروح وياتي

«والسراج العليل هذا، أقصد به اللمبة نمرة ٣، يفرغ منها الجاز فنرفع ضوءها قليلًا؛ فتشهق كما يشهق الإنسان».

---

(١) التعريفة والنكلة: عملتان مصريتان قديمتان لهما قيمة بسيطة.

ونـضيج مفلفـل لازع الطَّعـ ـمة يـشوي أصـابعي ولهـاتي
يتـصبَّى المجـاورين فننـصبُّ عليـه كالفـاتحين الغُـزاةِ
اتركِ المتن واطوِ حاشية السعـ ـد وأدرك شيخون قبل الفواتِ
أنـا مـن مـازنٍ ومـازنُ منـي والليالي القمراء من صـدحاتي
أيهـذا النـديم ويحـك أوفيـ ـت فمل بي على مويسٍ وهاتي
أنـا في شـطه أراقـب فعـل الـدهر في أهلـه وأرقـب ذاتي
أنـا في شـطه أراجـع في سفـ ـر وجـودي أيـامي الخاليـات
أوقظ الماضي البعيـد وأخـشى أن تغيم الأشـباح في خلجـاتي
وأنا الشاعر الذي زمـزم الكـا س فرنَّـت بهـذه المرقـصات
ليت من عقني وألحـد بالـشعـ ـر يـرد الأخيـذ مـن خطـراتي

الحرية الشعرية

☜ ما أجمل هذه القصيدة التي نستطيع أن نقـول: إنهـا شـهادة مـن الشاعر على عصره وعلى جيله وعلى نفسه.

- ولكن هذه القصيدة قيلت في الأربعينيـات، وأنـا الآن أعطـي لنفسي شـيئًا مـن الحريـة في نظـم الـشعر، فأنـا أنظـم الـشعر عموديًّا، وأتنقل بين مجزوء البحـر وبـين تمامـه، وأغـير أيـضًا في القافية.

قضايا الشعر المعاصرة

☜ من الظواهر العالمية ظاهرة تمييع الثقافات الحضارية والفنية بشكل عام؛ بحيث يتبنى أحد الشعوب ثقافة شعب آخر بطريقة تؤدي إلى ضياع معالم ثقافته الخاصة، أعني قضية (الأصالة والمعاصرة) بشكل عام، فإلى أي مدى نعاني هذه الظاهرة في هذه المرحلة من العصر في رأيك؟

- أرى أن الشعر والأدب لا بد أن يكونا معاصرين، وكذلك لا بد أن يكون الشعر ذاتيًّا حتى ولو كان موضوعيًّا؛ لأن الإنسان لا يمكن أن يخرج من جلده، أو أن يخرج من عصره.

☜ فما الذي ترصده مما يحدث على ساحة العصر الآن؟

- ما أرصده هو أن القصيدة أصبحت اليوم تتناول موضوعات لم تكن تتناولها من قبل؛ حيث أصبحت تتغير من ناحية الإيقاع والشكل، كما اختلفت مضامينها عن المضامين القديمة، كما داخلها الرمز، والرمز لون جميل من ألوان الفن، ما كان يوجد في ديوان الشعر العربي كله، فإذا راجعت الشعر العربي القديم

فلن تجد رمزًا، اللهم إلا في الشعر الصوفي، ولماذا الشعر الصوفي؟ فلهذا إجابة قد لا يتسع لها المقام.

☜ معروف أن ذلك من أجل الخطرات الإلهية والتلميحات التي ينبغي أن تكون مغلفة بقدر ما؛ فلذلك لجأ الشاعر الصوفي إلى الرمزية.

- ذلك أحد الأسباب، وأنا أرى أن الرمزية بصرف النظر عن أيٍّ شيء تعطي لذة فنية أيضًا، كاللذة التي تحدث عندما تقرأ أو تسمع لغزًا وتفسره؛ فيحدث لديك لذة فنية، فكذلك الرمز إذا احتوت عليه القصيدة وأدركته أنت شعرت براحة في نفسك ولذة فنية.

☜ ولكن هل تشعر بشيء من الاغتراب أمام شعر هذه المرحلة من العصر؟ هل تحس فيه نوعًا من الغزو الفكري كما يقال أو اهتزازًا للهوية؟

- ليس غزوًا فكريًّا بالمعنى الحقيقي، إنما هناك شعر حديث لا يفهم، ولا يقع من نفسي موقع الاستحسان أبدًا.

تحديث التراث

☜ لا نريد أن نبحر بعيدًا فأنت لـديك تجربـة في تحـديث الـتراث؛ فلنحتكم إليها احتكامًا عمليًّا واقعيًّا، وتجربة في تحديث التراث حققت معادلة الأصالة والمعاصرة، وذلك في ألف ليلـة وليلـة، التي كتبتها للراديو ثم للتلفزيون؛ فما فلسفتك في هذا العمل؟

الأصل في هذا العمل أنه حكايات تحكى لإثارة اللذة، ولكنـي عندما تناولته جعلت له معادلًا موضوعيًّا، فأنا حين أتكلم عن سلطان الجـن الأحمـر وسـلطان الجـن الأزرق أقـصد الـشرق والغرب، أمريكا وروسيا، ولما أتكلم عن سيف النقمـة، الـذي لا يستطيع أن يملكه أحد إلا هو، فأنـا أقـصد القنبلـة الذريـة، وتناولـت هذه المعاني كلها في ألف ليلة وليلـة، وفهمهـا الكثـير من الناس، وكانت تحدث في نفوسهم اللذة التي أحدثك عنها، وهي الشعور باللذة الفنية، عندما يصل الإنسان إلى حل لغز.

☜ لو جاء مؤلف «ألف ليلة وليلة» الأصلي، أو مؤلفوها الأصليون في العصور القديمة، ثم فتحوا التلفزيون في أحد أيام رمـضان، ثم رأوا شريهان وهي تقدم فـوازير الأسـتاذ طـاهر أبـو فاشـا؛ فكيف ترى وقع هذا عليهم؟

- لا شك أنهم سيُسرُّون؛ فالفتاة جميلة وجيدة التمثيل، والمخرج جيد العرض، ومعاظل أيضًا، أي: يبدي عضلاته في الإخراج، كالمعاظلة في اللغة، وهي أن يعرض الشاعر عبارات قوية وألفاظًا جزلة في شعره، فالأستاذ فهمي عبد الحميد مخرج معاظل، يستعمل عضلاته في «ألف ليلة وليلة».

نستطيع إذن أن نقول: إن «ألف ليلة وليلة» هي نسخة عصرية من «ألف ليلة وليلة» القديمة؟ أو هي تعبير عصرنا عن أساطير القدماء؟

- لا يا سيدي، فنحن لم نستعمل من الكتاب القديم غير أربعين أو خمسين ليلة فقط، وقد كتبنا ثمانمائة حلقة للإذاعة، وعندما فرغت حكايات الكتاب القديم جاء بعضها غير صالح، والآخر حدوتة غير كاملة، فالذي لا يصلح أغفلناه، وأكملنا الناقص، ثم فرغ الكتاب بعد ذلك، فلجأت إلى التراث الشعبي، وإلى الحكايات التي كنت أسمعها من جدتي، فلما فرغ هذا لجأت إلى المخزون النفسي من الأساطير، فصنعت منها الحدوتة ووضعت فيها العفاريت والجن والملامح المعروفة لـ«ألف ليلة وليلة»؛ حتى يخيل إليك أنك تشم فيها رائحة خان الخليلي.

☜ إذن نستطيع أن نصل إلى تحقيق المعادلة المهمة بين الأصالة والمعاصرة؛ حيث نجحت في أن تأخذ الروح من التراث الشعبي والمأثورات الشعبية وألبسته شكلًا عصريًّا؟ هل نستطيع أن ندعي ذلك؟

- ليس بهذه الدقة، ولكن هناك إشارات عصرية تتناول موضوعات عصرية سواء كان واضحًا أو رمزًا، وأنا في رأيي أن الأدب لا بد أن يخدم الحياة، فإذا لم يخدم الحياة والعصر فهو غثاء لا طائل من ورائه.

إنجازات الدولة

☜ قد وجدنا من مؤلفاتك بحثًا في إنجازات الجمهورية العربية المتحدة، في عهد الرئيس عبد الناصر، فيبدو أنك قد قدمته أثناء عملك بالشؤون العامة بالقوات المسلحة، ما قصة ذلك؟ وما ارتباطه بعصر عبد الناصر وما شهادتك عليه؟

- كنت أرأس قسم التأليف والنشر، في الشؤون العامة للقوات المسلحة، وفي كل سنة كنت أضع لهم كتابًا اسمه جمهورية مصر في عام، أحلل فيه أحداث العام كلها، ولكن هذا شيء مضى، ولست راضيًا عنه كل الرضا؛ لأنه أولًا ليس عملًا فنيًّا، وإنما هو تسجيلي أكثر منه عملًا فنيًّا محضًا.

ذكريات دمياطية

☜ نريد أن نعود بالأستاذ طاهر أبو فاشا إلى الحديث الذي يعجبه، عن حبيبته دمياط، ولعل مساهمتك في جريدة «أخبار دمياط» تفجر قضية الصحافة الإقليمية؛ بل قضية المحليات بشكل عام؛ فما أقوالك في هذه القضية؟

– إنك تثير في نفسي لواعج وذكريات؛ فإن جريدة «أخبار دمياط» هذه وقفت وراءها منذ نحو أربعين عامًا وأنا أكتب افتتاحيتها السياسية، وأكتب فيها فصولًا اجتماعية، وفصولًا أدبية، ورأيي أن الصحيفة الإقليمية ضرورة في الإقليم؛ لأن الصحيفة العامة في العاصمة لا تتسع لكل أحداث الإقليم، وإذا ذكرته فإشارات لا تتسع لدراسة أو شيء من هذا القبيل، ومن هنا كانت الجريدة الإقليمية ضرورة حيوية لها أهميتها، وقد وقفت جريدة دمياط مع أحداث دمياط؛ فكانت سجلًّا رائعًا لكل ما جرى فيها، وما جرى في مصر أيضًا، وعندما دعونا إلى ميناء دمياط كانت جريدة دمياط وراء هذه الدعوة، وهذا الميناء أيضًا فقدته دمياط بتضحية منها؛ حيث قضت المشروعات المائية عليه، وطمرت البوغاز؛ حيث كان البوغاز يتطهر سنويًّا وتلقائيًّا بمجيء الفيضان، فيكسح الرمال من

البوغاز، فلما أقيم السد العالي، انتهى الفيضان؛ فانطمر البوغاز، وعجزت المراكب عن دخول دمياط، وحُجزت المراكب إما وراء البحر أو في نهر النيل، ومن هنا نادى الدمياطيون بعودة الميناء.

لذلك فإن افتتاح الرئيس مبارك له مؤخرًا يدل على أهمية المحليات، واللامركزية، ومن هنا تأتي أهمية مثل هذه الصحف المحلية.

- بطبيعة الحال، وهل البلد كله إلا أقاليم، فإذا ارتقت الأقاليم ارتقى البلد، والجريدة لسان حال البلد، تدافع عنه وتطالب بحقوقه، وتشير إلى العيوب الموجودة، وتدعو إلى محاربتها؛ فالجريدة الإقليمية مهمة للغاية.

إذن نصل إلى ملخص لشهادة الأستاذ طاهر أبو فاشا على هذا العصر، وحبذا لو كان شعرًا!!

- سأسمعك أبياتًا ترى فيها كيف أعطي نفسي شيئًا من الحرية في نظم القصيدة مع أني لم أخرج عن العمود الشعري، رغم أني أنتقل من الكامل إلى المجزوء وأغير القوافي وما إلى ذلك، كما ترى في قولي من قصيدة غروب:

آه على الشباب آه وآه

إذا تحركت عقارب الحياة

تحركت قوافل الأيام

وسافرت وراءها كواذب الأحلام

في رحلة ليس لها أمام

تدفعني دفعًا لشاطئ الزمان

وقد مضى الزمان وأمحل المكان

فلا زمان ولا مكان

فهذه متاهة النسيان

وغربة قريبة الأسباب

بعيدة ليس لها إياب

في جوها يختنق الضباب

ويلفظ القنديل ضوءه

وتتوه في وادي الظلام ذكرياتي

وتنطوي صحيفتي

وأغيب عن ذاتي

وأصير بضعة أسطر في صفحة الوفيات

وعند هذا تكمل الحكاية

وتنتهي الرواية

وينزل الستار

في الحقيقة سينزل الستار ولكن على هذه الشهادة العظيمة الثرية من الأستاذ الشاعر الكبير طاهر أبو فاشا، الذي أمتعنا بشهادته وبشعره، وبحديثه الطلي العذب.

من أروع ما كتب الشاعر الكبير
طاهر أبو فاشا

طاهر أبو فاشا يرثي زوجته:

في ديوانه «دموع لا تجف» قصيدة رائعة كتبها في رثاء زوجته الراحلة «نازلي» التي لقيت ربها في ٢٩/ ٩/ ١٩٧٩م، وقد قالها في أول عيد يأتي عليه بعد وفاتها، ومنها هذه الأبيات:

أتى العيد نازلي ولم نلتقِ ... وغامت سمائي فلم تشرقِ
أتى العيد يطرق بابي فما ... أجاب سوى دمعي المهرَقِ
أعيد وأنت بعيد هناك ... تقيمين تحت الثرى المطبق
لقد كنت ظلًّا أفيء إليه ... وأهرب من يومي المرهق
وقد كنت قلبًا كبير المنى ... لغير المحبة لم يخلقِ
وكنت قصيدًا جديد الرؤى ... شجيًّا، معانيه لم تطرقِ
مضى كل هذا ولم يبقَ لي ... سوى ذكريات الأسى الموبق
فيا لهف نفسي ماذا مضى ... ويا لهف نفسي ماذا بقي؟

هذه الأبيات البسيطة تعبر - بلا شك - عن روح الوفاء لدى شاعرنا الكبير الذي كان يخطو نحو السبعين من عمره، ينظر حوله

فلا يجد الأنيس ولا الجليس؛ فيتجدد حزنه على رحيل زوجته المخلصة الوفيَّة التي كان يشعر بأنه قد صار غريبًا دونها.

مناجاة الله :

ها هو ذا يعود إلى ربه تائبًا ومناجيًا، يطمع في مغفرته ورضاه؛ حيث يقول:

على عيني بكت عيني ... على روحي جنت روحي
هواك وبعد ما بيني ... وبينك، سرٌّ تبريحي
صحا من شجوه كأسي ... وقد نام الخليونا
فكيف أفر من نفسي ... إذا هام المحبونا
حيائي منك يبعدني ... وداعي الشوق يدنيني
ووجه الصفح يخجلني ... ويقتلني ويحييني
خلوت إليك يا ربي ... وقلت عساك تقبلني

ثم يرفع يده إليه ضارعًا أن يقبله ولا يرده، فبابه لا يضيق بعباده:

لغيرك ما مددت يدا ... وغيرك لا يفيض ندا
وليس يضيق بابك بي ... فكيف ترد من قصدا
وركنك لم يزل صمدا ... فكيف تذود من وردا
ولطفك يا خفي اللطـ ... ـف إن عادى الزمان عدى
على قلبي وضعت يدا ... ونحوك قد مددت يدا

سرى لــــيلي بغـــير هـــدى ولا أدري لأي مـــدى
يطــــاردني الأســـى أبــيدا ويرعـــاني الجـــوى أمـــدا
وأطـــوي الجيـــد تطويــــة كـــأني في الفـضاء صـدى
نهـــاري والهجـــير لظـــى ولـــيلي والظـــلام ردى
فـــوا كبـــدي إذا أضـــحى وإن أمـــسى فـــوا كبـــدا
ولـــيس ســـواك لي ســـند فقـــدت الأهـــل والـــسندا

حانة الأقدار:

رائعـــة طـــاهر أبـــو فاشـــا التـــي شـــدت بهـــا أم كلثـــوم، وقُدِّمت في فيلم (رابعة العدوية):

حانةُ الأقدار

عربدت فيها، لياليها

ودارَ النور

والهوى صاحِي

☆ ☆ ☆

هذه الأزهـــــار

كيف نسقيهـــا؟ وساقيهـــــا

بهــــا مخمُــور

كيف يــا صاحِ؟

☆ ☆ ☆

سألتُ عن الحب أهلَ الهوى

سُقاةَ الدموع ندامى الجوَى

فقالوا: حنانَك من شجوِه

ومن جدِّه بكِ أو لهوِه

ومن كَدَر الليلِ أو صفوِه

سلي الطيرَ إن شئت عن شدوِه

ففي شدوه همساتُ الهوَى

وبَرْحُ الحنين وشرحُ الجوى

☆ ☆ ☆

ورحتُ إلى الطير أشكو الهوى

وأسألُه سرَّ ذاك الجوى

فقال: حنانَك من جمره

ومن صَحْو ساقيه أو سُكره

ومن نهيِه فيك أو أمرِه

سلي الليلَ إن شئت عن سرِّه

ففي الليل يبعثُ أهلُ الهوى

وفي الليل يَكمنُ سرُّ الجوى

☆ ☆ ☆

ولما طواني الدُّجَى والجوى

لقيتُ الهوى وعرفتُ الهوى

ففي حانةِ الليل خمَّارُه

وتلك النُّجَيماتُ سُمَّارُه

وتحت خِيامِ الدُّجَى نارُه

وهمسُ النَّسائمِ أسرارُه

وفى كلِّ شيءٍ يلوحُ الهوى

ولكنْ لمن ذاقَ طعمَ الهوى

☆ ☆ ☆

وفي الفيلم نفسه غنت أم كلثوم قصيدة أخرى رائعة من تأليف الشاعر الكبير طاهر أبو فاشا، وهي قصيدة «انقروا الدفوف» التي كانت أروع اختيار لإنهاء قصة الفيلم بعد أن تحولت رابعة من امرأة عجوز إلى شابة، وصعدت السماء وسط الحور العين بهذه الأغنية الرائعة وهي أيضًا من كلمات طاهر أبو فاشا:

أوقدوا الشموس ... انقروا الدفوف

موكب العروس ... في السما يطوف

والمنى قطوف

انقروا الدفوف

☆ ☆ ☆

الرضا والنور والصبايا الحور

والهوى يدور

آن للغريب أن يرى حماه

يومه القريب شاطئ الحياة

والمنى قطوف

في السما تطوف

انقروا الدفوف

☆ ☆ ☆

طاف بالسلام طائف السلام

يوقظ النيام

عهده الوثيق واحة النجاة

أول الطريق هو منتهاه

والمنى قطوف

في السما تطوف

انقروا الدفوف

الحنين إلى الوطن:

كلما فارق الإنسان وطنه وأخذته تصاريف الحياة بعيدًا عنه، جذبه الحنين إليه وشده من جديد. وها هو شاعرنا الجميل يتجه بالخطاب لبلده، ومسقط رأسه، ومثوى جسد الأجداد والآباء:

شاقني في البعاد بعض هواك ... لم يشقني على البعاد سواكِ
يا تراب الأجداد يا أرض أحبابي ... سقى الله عهدهم وسقاك
يا عروس الزمان يا واحة الأشـ ... ـواق يا سلوة الغريب الشاكي
كلما هاجني الحنين إلى لقـ ... ـياك أغمضت مقلتي لأراك
وأرى ما دفنته من شبابي ... قبل يومي وديعة في ثراك
حفنة من تراب أرضك يا دمـ ... ـياط يشفى شميمُها مُضنَاك

رثاء الأصدقاء:

تفيض شاعريته وتنسكب في معانٍ كثيرة، فنراه بعد رحيل الزوجة، وفقد الولد، وغربة البنت أصبح وحيدًا؛ فشعر بأنه قد صار على مقربة من الموت، وراح يرثي الأصحاب وكأنه يرثي ذاته.. ذلك ما نراه في رثاء الشاعر علي محمود طه، وقد كان من أعز أصدقائه:

هو الشعر ما غنى ربيع، وما بكى
خريف، وما اخضلت عيون الأزاهر
تراتيل أنسام، وتسبيح جدول
وأنَّة موجوع، ومصباح حائر
تغنت بها الآباد من قبل عزفه
كلامًا، فجاب الدهر أول عابر
وأرهص للأوتار حتى إذا شدا
تجاوب فرح الكون في برج ساهر
ودقت نواقيس الحياة، وأطلقت
رهابينها في الجو روح المباخر
ونادى منادٍ في السموات: أوقدوا
كواكبها، فاليوم ميلاد شاعر

ومن أشعاره الجميلة قصيدة «أعيدوني لأيامي» التي يقول فيها:

يقولون لي في مغرب العُمرِ: لا تهِنْ

فأنتَ أخو علمٍ بلوتَ اللياليا

وإلا فما معنى الليالي التي خلت

وكيف تعودُ اليومَ منهنَّ خاليا

فقلتُ: خُذُوا علمي وكلَّ تجاربي

بيوم أرى فيه زمانَ شبابِيا

هل العيشُ إلا أنْ تعيشَ مع الصِّبا

فتيًّا، وأنْ تحيا حياتكَ خاليا

وأنَّ رفيق العمر تَسبيكَ روحُه

ولم أرَ مثلَ الروحِ كأسًا وساقيا

فما هذه الدنيا، وقد جنحتْ بنا

سفائنُها، والدهرُ يصْخَبُ عاليا؟

وما قيمةُ الأيام إنْ جفَّ ماؤُها!

وصوَّح غُصْنٌ كان ريَّانَ ناديا؟

تُغنِّي عليه ساجعاتٌ هواتفٌ

فيُوقظْنَ فَرْخًا كان بالأمس غافيا

مضى كلُّ هذا واستباحتْ يدُ البِلى

صَباحةَ أيامي فعُدْن لياليا

وشابتْ مواجيدي وقلبيَ لم يزلْ

به خفقاتُ الواجِدين كما هيا

عزيزٌ على نفْسي حُطامُ مباهجي

ثقيلٌ عليها أنْ تجِفَّ حياتيا

وأنْ تُقْفرَ الأيامُ حول خواطري

فأحيا زمانًا ليس فيه زمانيا

جديبًا، ولم تقحط من الوجد عَيْبتي

غريبًا، ولم أبرح بأرضي مكانيا

ألا إنَّما العيشُ الشبابُ فليتني

إذا ما مضى عهدُ الشبابِ مضى بيا!

أعيدوني لأيـامـــي

ورُدُّوا بـعـض أحلامي

فحَسْبي أنْ أعيش اليومَ

في أطلال أوهامي

وأنْ يتمَثَّل الماضي

أمامي مرةً أخرى

يطالعُني بأيامي

فتسْخنُ عينيَ العَبْرى

وأرسلُ دمعَ أنغامي

على نبضات آلامي

فيلْمسُ جُرْحيَ الدَّامي

أعيدُوني لأيَّامي

رثاء الشاعر:

وما أجمل أن نرثي طاهر أبو فاشا بالقصيدة نفسها التي كتبها؛ رثاءً لصديقه الشاعر محمود حسن إسماعيل بمناسبة ذكرى رحيله الرابعة:

غاب عن روضه وطـال الغيــاب
نــازح الــروض، مــا كفــاك اغــتراب
جفت الكـأس يا جديـد المعـا نـــي
وشــكا النــاس شجـــوه والربـــاب
شأن مـن عـاقروا أغاريـد محمــو
د فغابـــوا وهــــم حــضور وذابـــوا
وتـساقـوا علــى هـــواه أهـازيــ
ـــج تغنــى بهـــا الهـــوى والــشبابُ
شــاعر الحلبـــة المحلــق كالنــســ
ــر بعيـــدًا، فـــي شـــدوه إغـــرابُ

خاتمة

مثلما تهدل الحمامة ويغنِّي العندليب، ظل طاهر أبو فاشا طول عمره؛ يثري الساحة الثقافية بإبداعاته الشعرية، كما أنه ترك أثرًا لا ينكر على مستمعي الإذاعة حين أعاد إنتاج ألف ليلة وليلة؛ ليرى فيه النقاد والمهتمون والمتابعون شاعرًا كبيرًا ومبدعًا لا ينكر دوره.

لم يكن طاهر أبو فاشا شاعرًا تقليديًّا، وإنما أدخل على الشعر من روحه وروح التجديد الكثير؛ وامتلك حنينًا لا يوصف إلى ذكرياته السابقة مع بلدته دمياط؛ الوطن والنشأة والصبا الجميل، وكان كل ذلك زادًا له في رحلته الإبداعية.

جمع طاهر أبو فاشا خلال مسيرته بين الأصالة والمعاصرة، وهي معادلة كلما تتوافر لكثير من المبدعين، وترك ذلك بالطبع بصمة على إنتاجه، جعلت منه شاعرًا متفرِّدًا. وقد امتلك شاعرنا الكبير قلب إنسان كبير بين جوانحه، فلم ينس موطنه دمياط ولا لحظة، وظل يعبر عن إخلاصه لذكرياته الأولى شعرًا، كما ظل يعبر عن إخلاصه لأولئك الذين ارتبط بهم إنسانيًّا ومنهم زوجته، إخلاص الحمامة للهديل، والعندليب للغناء.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم	٧
مقدمة	٩
طاهر أبو فاشا	١٣
نص الشهادة والحوار	٢٥
الحياة القديمة بين الميزان والأوقية	٢٧
رخاء بلا مال	٢٩
الشجاعة والكرم في ثوبهما الجديد	٣٠
ذكريات الزمن الجميل	٣١
دمياط ملتقى حضاري وثقافي	٣٣
تحولات ثقافية	٣٥
منزلة الشعر	٣٧
الغناء على حافة الهاوية	٣٨

الموضوع	الصفحة
المفهوم الحقيقي للوطنية	٤٣
الموسيقى الشعرية	٤٣
الحرية الشعرية	٤٧
قضايا الشعر المعاصرة	٤٨
تحديث التراث	٥٠
إنجازات الدولة	٥٢
ذكريات دمياطية	٥٣
من أروع ما كتب الشاعر الكبير طاهر أبو فاشا	٥٧
خاتمة	٦٩
الفهرس	٧١

في هذا الحوار

- ميلاد على الساحل الدمياطي..
- طاهر أبو فاشا والمصباح نمرة أربعة..
- ألف ليلة وليلة.. وصدفة الأستاذ »برانق« !
- ماذا عن الليلة الثانية بعد الألف ؟
- طاهر أبو فاشا مدافعاً : الدمايطة ليسوا بخلاء !
- حكاية مركب البصل التي غرقت !
- أبو فاشا : في العصور المظلمة كان الشعر قويًّا.
- أبو فاشا عن أغنية العصر : ليس في الإمكان أبدع مما كان.
- ابن بطوطة : دمياط سورها حلوى وكلابها غنم !
- أبو فاشا : الوطن هو المواطنون.
- أبو فاشا : الناس إذا ارتقوا حتماً يرتقي معهم المكان.
- أبو فاشا : قصيدة النثر ليست شعراً..
- رؤية أبو فاشا للرمزية في الأدب.
- أبو فاشا : لم أستعمل من ألف ليلة القديمة إلا خمسين ليلة فقط !
- ذكريات أبو فاشا مع «أخبار دمياط».

الأستاذ عمر بطيشة

- رئيس الإذاعة المصرية الأسبق.
- خريج آداب إنجليزى عام ١٩٦٤ ودبلوم دراسات عليا فى الإعلام عام ١٩٧١.
- قدم العديد من البرامج الإذاعية التي حصدت الجوائز الذهبية، لكن أشهرها " شاهد على العصر" الذى تم نشر حواراته فى هذه السلسلة من الكتب.
- قدم "شاهد على العصر" في البرنامج العام بالإذاعة المصرية من يناير ١٩٨٣ الى مارس ٢٠٠١ حينما انشغل عنه برئاسة الإذاعة المصرية وجمعية المؤلفين والملحنين.
- كما قدم "شاهد على العصر" تليفزيونيا على شاشة القناة الثقافية من ١٩٩٣ الى ٢٠٠٠.

له ثلاثة دواوين شعريه هى :

- "الهجرة من الجهات الأربع" عام ١٩٧٠
- "أغنية إليها" عام ١٩٨٧
- "قصائد حب" عام ٢٠٠١

كما ألَّف عشرات الأغنيات الذائعة لنجوم الغناء فى الوطن العربى.

2.786
09
248b
010
Bibliotheca Alexandrina
0943908

دار الفاروق
للاستثمارات الثقافية